

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

هذه فصول نقدية تحليلية تتناول جوانب من شعرنا العربي وأعلامه النابيين ابتغاء تقويمها وتقديرها بمعايير سديدة ، تجلو حقائقها وتكشف غوامضها وتوضح دقائقها ، وترد عنها الأحكام الحاطة .

والموضوع الأول الذى تتناوله هذه الفصول هو تقويم تراثنا الشعرى وبيان تمثيله للحياة الأسلاف من جميع أنحاء التربوية والاجتماعية والسياسية والحربية مع ما يجرى فيه من المعانى الإنسانية والفلسفية والصوفية وما يحسد من خصالنا النفسية والفكرية والشعرية .

والموضوع الثانى عرض "لموسيقى شعرنا العربى على مدار التاريخ وما توفر لها قديماً من مرافقة الغناء للشعر واتساع تأثيره فيه ، مما دفع — على مر العصور — لتجديدات فى الأوزان والقوافى هيات لظهور الموشحات وازدهار الأزجال والفنون الشعبية . حتى إذا كان العصر الحديث تكاثرت صور التطور وظهر الشعر المنثور والشعر الحر الجديد .

والموضوع الثالث بيان "مجمل لتجديد العباسيين فى مضمون الشعر وإطاره على أساس منهج ثابت من التزاوج بين العناصر الفنية الموروثة والعناصر الثقافية والحضارية الجديدة على نحو ما يتضح فى أغراض الشعر التقليدية ، مع النفوذ إلى أبعاد جديدة فى المضمون والمحتوى ومع تجديدات متنوعة فى الأوزان والقوافى .

والموضوع الرابع يعرض العروبة فى شعر المتنبي داحضاً المطاعن فى نسبه وما قيل من أنه كان قرمطياً وأن ثورته كانت فى سبيل الدعوة القرمطية ، مثبتاً فى وضوح أنه إنما ثار من أجل عروبه التى تعمقت نفسه سمخاً على الحكام الأعاجم الذين كانوا يسوسون الأمة لعصره وساموها العسف والحسف والظلم ، وقد أعلن ذلك فى

شعره مراراً وامتنشق الحسام من أجله في يواذى الشام ورفع شِعاراً أمام بصره حتى الأنفاس الأخيرة من حياته .

والموضوع الخامس يتناول التفكير الفلسفي في شعر أبي العلاء ، مصححاً ماشاع خطأ بين بعض الباحثين من أنه كان يقول بقدّم المادة والزمان والمكان والأفلاك وينكر الشرع وفرائضه الدينية والرسول والأنبياء والملائكة والجنّ والبعث والمعاد ، اعتماداً في ذلك كله على أشعار منحولة أضيفت إليه أو على أفهام خاطئة لبعض أبياته ، وهو برّاء من كل ذلك ومن كل ما نُعت به من زيغ وضلال .

والموضوع السادس يصوّر شخصية الأندلس في تاريخ الشعر العربي وما امتاز به الأندلسيون من خصال العنف الحاد والدّف المسرف والشعور بالحرية الفردية وما اضطبغت به أشعارهم من صبغة التمسك بعناصر الفن التقليدية . مع تمثيلهم لحياتهم ولطوائف خيالهم وحسّهم ، ومع ما بثّوا في موشحاتهم من جمال الجرس واللحن والأداء .

والموضوع السابع يرسم قسّات الروح المصرية في شعر ابن سناء الملك موضعاً تربيته وتمثيله للروح المصرية في أمجادها الحربية لعصر صلاح الدين وصدوره عنها في سهولة ألفاظه واستخدامه أحياناً الكلمات العامية . مع الرقة والدمائة واستشعاره لمحبة وطنه وأسرته ، ومع الدعابة وخفة الظل . ومع التعلق بالدين والإذعان لله ومشيئته .

والموضوع الثامن يعرض المجاهدات الروحية في شعر ابن الفارض مبيّناً أن مبادئ كثيرة في الدين الحنيف دفعت إلى ازدهار التصوف والمحبة الربانية وأن شقاً حدث بين المتصوفة وأهل السنة ثم التأم صدعه ، وزادته الحروب الصليبية التثاماً . وحظيت مصر بابن الفارض أكبر من صور مجاهدات الصوفية في المحبة الإلهية ، وأشعاره تصور عناؤه الروحي وعشقه الملتب في خفايا قلبه وأحواله فيه ومقاماته وبخاصة مقام القناء عن الوجود ومقام الصحوم مع دوام الرؤية والشهود .

والموضوع التاسع يتناول نظرية الحقيقة المحمدية في مدائح البوصيري النبوية ، وكيف استحال تغني المسلمين بشمائل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى تلك النظرية واضطرامها في عصر الحروب الصليبية حمية للإسلام وصاحبه ، مما جعل

الشعراء - وعلى رأسهم البوصيرى - يكثرّون في مديحهم النبوى من تصويرها على نحو ما نقرأ في قِلاذتيه النفيستين : الحمزية وأختها الميمية اليتيمة الفريدة .

والموضوع العاشر يتحدث عن صناعة الشعر المصرى فى القرن الماضى وما كان يبهره ، حتى منتصفه ، من كُلف ثقيلة أخذت تُنَحِّها عن كواهلها بواذرُ نهضة شعرية لم يلبث البارودى أن ثبَّت أصولها على قواعد من التوازن الدقيق بين التقاليد الفنية الموروثة وبين التعبير عن حياته وحياة أمتة تعبيراً صادقاً .

والموضوع الحادى عشر عرض " لتطور الشعر العربى الحديث وما تعاقب فيه من مدارس واتجاهات وما يمتاز به كل اتجاه ومدرسة من خصائص ، سواء مدرسة النهضة أو مدرسة الجليل الجديد أو مدرسة المهاجر الأمريكى أو جماعة أبوللو والمدرسة « الرومانسية » أو مدرسة الوجدان الاجتماعى التى تسود الآن فى البلاد العربية .

والموضوع الثانى عشر يوضح نواقص الإيقاع فى الشعر الحر الجديد مصوراً تكامل الألحان والأنغام فى شعرنا الموروث على نحو لم يُعرَف فى لغة أخرى قديمة أو حديثة ، ومناقشاً فى تفصيل ما سقط من أركان الإيقاع الشعرى القديم فى الإيقاع الجديد للشعر الحر وما أثار ذلك من جدل عنيف بين أنصار الإيقاعين ، مع بيان ما ينبغى أن يُكفَّل للإيقاع الجديد من عناصر نغمية ونِسَبٍ لحنية تتلافى نواقصه وتردُّ عليه الرنق والبهاء .

والموضوع الثالث عشر يبيِّن اتصال الشعر العربى فى حاضره بماضيه وأن تلك سُنَّة دائمة فيه ، فمن يتعقب أطواره طوال العصور الماضية يلاحظ أن جديده موصول دائماً بقديمه دون انقطاع ، وكذلك الشأن فى العصر الحديث عند مدرسة النهضة التى حافظت بقوة على مقومات الصياغة التقليدية . وبالمثل المدارس التالية لها لا ينقطع اتصالها بالتراث الفنى مع تفاوت حظوظها فى هذا الاتصال .

والموضوع الرابع عشر يعرض حياة شوق ومكانته فى الشعر العربى الحديث ، مصوراً صفاته وثقافته وشاعريته وما يمتاز به من خصائص فنية ، مع تجسيده المشاعر الوطنية والقومية لشعبه المصرى والشعوب العربية ، ومع إشادته بأهجاد مصر التاريخية وتعريبه لفن الشعر التمثيلى وتمصيره .

والموضوع الخامس عشر يدرس حافظ إبراهيم وشعره دراسة تاريخية ، موضحاً كيف تكامل له مبكراً النطقُ عن أمته ومشاعرها الوطنية والعربية ، مع ما كان يستشعره من الدعوات الإصلاحية ومع ابتكاره لصورتين جديدتين من الشعر السياسي والاجتماعي ، وقد ظل يسدّد سهام أبياته إلى صدور الإنجليز الغاشمين حتى لبّى نداء ربه .

واللهَ أسأل أن يُلهمني السّدادَ في القول والفكر والعمل ، وهو حسّبي ، ونعم الوكيل .

القاهرة في ١٥ من مايو سنة ١٩٧١ م . شوقي ضيف